السلوك الإنساني والفهم العالمي

د. رسمية علي خليل

أصبح العالم اليوم أكثر من الأمس في أشد الحاجة إلى الفهم العالمي خصوصًا مع زيادة التطور الصناعي والتكنولوجي والعمراني، وما تبع ذلك من حدة التوتر بين الدول في التسابق على التسليح والبحوث النووية إلى درجة كادت أن تُعطِّل اجتماعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ... بل كثيرًا ما أغلقت كل سبل الاتصال Communication بين الدول المتطورة منها والنامية على السواء.

والسلوك العام Behavior والسلوك الإنساني بوجه خاص هو كل نشاط يقوم به الإنسان ويمكن ملاحظته أو ملاحظة نتائجه وبمعنى آخر هو كل ما يصدر عن الإنسان من استجابات عقلية وحركية واجتماعية ونفسية ظاهرة أو غير ظاهرة، واضحة للرائي أو مبهمة .. ومن هنا كانت الإشارات والتلميحات وحركات اليدين وإيماءة الرأس سلوكا ولغة يهتم بها الآن علماء اللغة وعلماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا على حدٍ سواء.

والفهم العالمي International Understanding هو القدرة على تكوين وجهة نظر معقولة ومتزنة عن أي بلد من بلاد العالم، وعن علاقة هذا البلد بالبلدان الأخرى ثم علاقته بالعالم ككل. ويساعدنا في ذلك دراسة تاريخ البلدان وثقافاتها ومكونات تلك الثقافات من المواريث الاجتماعية والعادات والتقاليد والمعايير والقيم والاتجاهات ... وغيرها. هذا بالإضافة إلى الحاجات النفسية الأساسية. **Human Basic Psychological Needs** ولا تختلف هذه الحاجات النفسية الأساسية من شخص لآخر سواء أعاش في أوربا أو أمريكا، في إفريقيا أو الوطن العربي والإسلامي، ولكن هناك معايير ومحددات أخرى للسلوك في اللغة والدين والقيم تؤثر في السلوك الاجتماعي لأفراد شعب دون الآخر، وتنعكس آثارها في عملية الفهم والتفاهم والعلاقات الدولية إلى درجة دعت إحدى أستاذات علم النفس في جامعة ميامي بولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تقنين اختبار ذكاء للفهم العالمي تعكس أسئلته أكثر ما تعكس مدى الفهم ومن ثم الاحترام لعادات الشعوب وتقاليدها ونواميس الحياة فيها.

(انظر: **Edith Lord, Queen of Sheba's Heirs. Acropolis Books, Washington, D.C., U.S.A. 1970.**) وهو كتاب «ورثة ملكة سبأ». للدكتورة إيديث لورد.

واتجهت كثير من الدول نحو دراسة الوسائل المختلفة التي تساهم في تحقيق العلاقات الإنسانية والعلاقات بين الدول على وجه الخصوص. وظهر أن التعليم الدولي **International Education** أحد هذه الوسائل الهامة، خصوصًا بعد الحرب العالمية الثانية ومع ضرورة تحسين العلاقات بين الدول غالبة أو مغلوبة، ولتأمين الناس من الحرب الباردة والحرب النفسية والإشاعات. كما استخدم التدريب والتبادل الثقافي والابتعاث للطلبة وللموظفين في الخدمة ... وغيرها كوسائل هامة لتحقيق السلام الدولي ومن ثمّ نشطت حركة التأليف لوضع مناهج عن الفهم العالمي لجميع المستويات من الحضانة إلى الجامعة. كما ظهرت كتب توضح أهمية الأغاني والأراجيز وأغاني الطفولة على وجه الخصوص والأناشيد الوطنية والفلكلور بأنواعه كأسس هامة للتعرف على الشعوب المختلفة وعاداتها وطريقة حياتها اليومية وألعاب الأطفال وملابسهم. وتبودلت العرائس بين أطفال العالم بملابسها الوطنية الزاهية

والتي تحكي قصص شعوب بأكملها. وأصبحت هناك موضوعات شيّقةٌ تُدرّس في المدارس ويُعدُّون لها المعارض الفنية سنويًا ويسمونها بأسماء الشعوب والبلدان، فهذا يوم اليابان وذاك عن الهند أو باكستان وآخر عن أمريكا أو إفريقيا أو الشعوب العربية والإسلامية الصديقة والشقيقة، وعن جيراننا دول الخليج.

وهكذا يتعرّف الناس أفرادًا وجماعات على كل شعب على حدة ولو في نبذة بسيطة عن تاريخه وجغرافيته وعادات سكانه وملابسهم وأكلاتهم الشعبية وأغانيهم الفلكلورية وأناشيد أطفالهم وألعابهم وما تعكسه الغنوة والحدوتة والفزورة ـ أو الحزيرة ـ من حاجات نفسية وقيم اجتماعية.

ولقد أفصحت أغاني الأطفال في بحوث كثيرة عن القيم الدينية والأماني والآمال لبلد وآخر، بل للبلد الواحد في مناطقه المختلفة: في البادية والحضر وفي المدينة والقرية، وفي المناطق الداخلية والساحلية كما نلاحظ بوضوح في أغانينا الدينية وفي أناشيد الأطفال في المدارس وفي العُرس والرحماني أو ما نسميه بيوم السُّبوع أو يوم التسميَه.

ومن أمثلة ذلك:

نحنُ بنو الكرامِ   **نعتزُّ بالإسلامِ**
أركانُهُ الجَليلة   **دعائم الفضيلة**
وهيَ الشِهادتَانِ   **قاعدةُ الإيمانِ**
والصومُ والصلاة   **والحج والزكاة**
تكفُلُ عِزَّ الدُنيا   **والدرجاتِ العُليا**
وتسعد المجتمعَ   **في الدينِ والدُنيَا معًا**

• • •

يا إلٓهي يا إلٓهي   **يا مجيبَ الدَعواتِ**
اجْعل اليومَ سعيدًا   **وكثيرَ البَركاتِ**
وأَنِرْ قلبيِ وعقلي   **بالعلومِ النَافعاتِ**
واجعلِ التوفيقَ حظيِ   **ونصيبِي في الحياةِ**
واحْمنيِ واحم بِلاديِ   **من شرورِ الحَادثاتِ**

يـا إلـهي يـا إلـهي   يـا مجيب الـدَعوات

* * *

عـريسْنَا يـا بدْرِ بَادِي   تـمَتْ لـيـالـيكَ السُرور
عـريسْنَا يـا عِطرِ زاهِي   غَـلَبْ على كـلٍّ الـعُطُور
أخْـذتـهَـا وأنتَ الموفَّقْ   حُوريَـة من بلاد الـنُّور
والـختْمُ صلّينا على مُحمدَ   نـبيِّـنـا مدَى الـدُهُور
هاتُوا الزهورْ رشُّوا العُطور   لـعـريسْنا بـدْر الـبُدُور

* * *

يـا ربٌّ يـا رحْمانِي   بـاركْ لِنَـا في الـغُلامِ
يـا ربٌّ يـا بـرِّيـه   يِـحْـفَـظْ لِنَـا الـبُـنـيـة
المولى أسـعـدنَـا وهـنَّـانَـا   وأعـطـانـا مولودْ جـديـد
من فرحِ قلوْبنَا غنينا   مـبْرُوك سابِعْ سَعـيـد
بِبْخُور جَاوِي ومسْك وعنْبَر   سمِّيناك من كلٍّ حَسُود
لا تبْكِ ولا يومْ تتحسَّر   داحُبَّك في قلوْبنَا يزِيد
يا صلاةِ الزينْ الله أكْبر   مولودْنَا زينِ الـمَوالـيد

* * *

نَـامي نَامي يا مَلاَكي   في أمـانِ الـلِّي رَعَـاكِ
يـا مُـنى قـلبِي وعْيَنيَّه   كـلٍّ شِيءْ هَـايِنْ عَـليَّ
وأنتِ نَايْمَه بِيْن إيديَّه   نَامي نَامي نَامي هُوهْ

* * *

ويهدف ذلك كله إلى فهم الناس واحترامهم وحبهم بعد فهم عاداتهم وثقافاتهم، كما يهدف إلى الوصول إلى التشابه الموجود بين الناس ـ فالطفل هو الطفل في كل مكان وزمان، وحبّ الطفل والغناء له سيظل في كل وطن وقطْر. فالإنسان هو الإنسان في كل بلد ومدينة وقرية وإن اختلفت الثقافات والحضارات، إذ يجمع الكلَّ سلوكٌ إنساني هو أقرب إلى التشابه منه إلى الاختلاف. لذلك استعانت المدارس والجامعات بالوافدين عليها كمصدر هام لثقافتهم وعاداتهم وعقدت الندوات للتعرف

على الشعوب وأهلها وبحث مشكلات العالم، وإمكانية زيادة التفاهم العالمي بين الشعوب ومن ثم تحقيق التضامن والسلام. وإن أولى الخطوات لذلك هو فهم السلوك الإنساني، فهم سلوك الأفراد والجماعات ... لماذا يسلك الفرد هذا السلوك دون ذاك ؟ وما هي الأُسس النفسية والاجتماعية وراء سلوك الناس بوجه عام ؟ وقامت لذلك دراسات نفسية وأنثروبولوجية للتعرف على الظواهر الواضحة في سلوك الفرد أثناء التخاطب، بل أكثر من ذلك الكشف عن ظواهر اللغة الصامتة **Silent Language**

والعوامل الشعورية واللاشعورية المؤثرة في ذلك. بمعنى آخر الاهتمام بكيفية انتقال الأفكار والمعاني ـ عبر اللغة طبعًا ـ والإشارات والتلميحات أيضًا أي عبر اللغة الصامتة ـ وماذا يحدث حينما يتكلم الناس ؟ فإذا تحدّث زيدٌ إلى عَمْرو ... هل يصل ما يعنيه زيد إلى ذهن عمرو تمامًا ؟ أم أنه رغم وضوح مخارج اللفظ من زيد لا يفهم عمرو ما قصده زيد بل قد يفهم عكسه ونقيضه أحيانًا. ماذا حدث إذن وأدى إلى هذه النتيجة غير المتوقعة ؟

إن في اللغة كلمات Words وأنماط Patterns لكن بين هذه وتلك إشارات وفواصل وحركات Isolates كثيرًا ما تظهر في الحديث لا شعوريًا وهذه في الحقيقة هي المحتوى الأساسي للغة الصامتة ... وفي رأينا أن الناس كثيرًا ما يفشلون في تعاملهم اليومي نتيجة عدم معرفتهم أهمية اللغة الصامته ... فكثيرًا ما يبعث المدير الخوف في نفوس مرءوسيه نتيجة حديثه بصوت عال، أو ضرب كف بكف فجأة، أو الخبط بشدة على المكتب لتأكيد وجهة نظره .. وأحيانًا تكفي إشارة اليد فتقوم بما يشبه التهديد خصوصًا إذا كانت اليد قريبة من وجه المتحدَّث إليه.

وحين يصل الزوج إلى بيته قادمًا من عمله، تظهر في الدقائق الأولى لوصوله إشارات وحركات ـ أي لغة صامتة غير متحدثة ـ تُلقي الكثير من الضوء على ما كان من يومه من أحداث سارة أو غير سارّة وأمثلة لذلك : طريقة دخوله إلى البيت، وهل كان هادئًا أم منفعلاً؟ وماذا كان من صوته عند قوله «**السلام عليكم**» هل في نبرات الصوت فرح أم حزن ؟ ارتياح أم غضب ؟ إن ذلك كله يعكس حالته النفسية بل وتنعكس آثاره على زوجته وأولاده ... وإن أرادت الزوجة إيضاحًا جلست إلى جواره تنتظر، وإن لم تُرِدْ وأرجأت شرح وتفسير حالته تركته لإعداد طعام الغداء. ويحدث ذلك كله في ثوانٍ معدودات دون أن يتحدث كل منهما للآخر بكلمة

واحدة. وتعكس اللغة الصامتة هنا القيم الدينية الواضحة في الآية الكريمة :

« ومِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لكُمْ مِنْ أَنفسكم أَزْواجًا لتسكُنُوا إليهَا وجَعَل بَينكمْ مودةً ورحمة إنَّ في ذَلك لآيات لقومٍ يَتفكَرون » [**الروم : ٢١**].

كما توضح بعض القيم الاجتماعية مثل رعاية الأسرة وحمل المسئولية وتفقد ساعة طعام الزوج ومنامه والعمل على راحته. والأمثلة كثيرة لا في محيط الأسرة فقط، بل وعلى المستوى الدولي. وهناك حالات كثيرة تدرسّ كأمثلة في برامج تدريب الدبلوماسيين وتثقيفهم وتعريفهم بأحوال البلاد المختلفة كوسيلة للفهم العالمي أيضًا ... أذكر على سبيل المثال لا الحصر حالة الخبير الزراعي الذي زار إحدى الدول العربية يومًا ما للإشراف على برامج تدريب الفلاحين على استخدام طرق الزراعة الحديثة والميْكنة الزراعيه. واستفسر الخبير ـ عبر المترجم ـ من أحد الفلاحين عما يمكن أن يجنيه الفلاح من غيطه في تلك السنه مقدرَّةً بالقناطير ... وهنا ظهرت علامات الضيق الشديد على وجه الفلاح وتمتم بكلمات مبهمة فهمها المترجم على الفور وتكهرب الموقف ! ! وعجب الخبير وراح يفكر فيما قاله مما قد يسبب الأذى النفسي للفلاح. وبكياسة وفطنة حاول المترجم إزالة القلق والتوتر وطمأن الفلاح بسلامة نية الخبير، وتوجه إلى الخبير قائلاً : إن الفلاح في معظم بلاد العالم لا يحب بحال من الأحوال أن يُسأل عما سيجني من غلةٍ غدًا فهو ينثر الحب وعليه اتباع أحسن القول « إعقلها وتوكّل » والعلم بعد ذلك عند الله عزَّ وجل ... وهو يعمل ويجتهد لكنه لا يُقدِّر فتضحك الأقدار فالغيب يعلمه الله « وعِنْدَهُ مَفاتِح الغَيْب لا يعْلَمُها إلاَّ هُو » ومن جدَّ وجد، وكل شيء عند الله بمقدار ... وهكذا يكون لعدم معرفة الخبير بأصول الثقافة وعواملها والأمثال الشعبية والشرائع السماوية للبلد المضيف أثر كبير في عدم فهم السلوك الإنساني ومن ثم عدم تحقيق الفهم العالمي.

وأمثلة أخرى كثيرة حدثت في أوربا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا ... بل في معظم الدول النامية، حيث جهل المبعوثون إليها ثقافة البلد المضيف وعاداته وتقاليده. ويجب أن نضع في الاعتبار أن ما يراه السائح أو الخبير في بلد ما ـ حسب معاييره الاجتماعية وقيم بلده ـ كثيرًا ما يكون على خلاف ذلك في البلد المضيف ... **لذلك كله يجب على كل فرد في مجال عمله، المدرس والمرشد النفسي ورجل الأعمال والإداري**

والأخصائي الزراعي والكاتب والأديب .. يجب على كلٍ منهم أن يهتم بدراسة ثقافات الدول المختلفة وما أمكنه من لغتها والتعرف على فنونها وأمثالها الشعبية وقصص الأدباء وأغاني الصغار والكبار وفهم مغزاها وما ترمي إليه وما تحوى من قيم وأمثال شعبية وما تحثّ عليه من سلوك مرضيٍّ عنه اجتماعيًا وخلقيًا وما تعكسه من سلوك يومي ... ومحاولة فهم أصول وقواعد هذا السلوك الإنساني ولغته الصامتة والمتحدِّثة كوسيلة هامة لتحقيق الفهم بين الدول ولتحقيق السلام العالمي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

صدق الله العظيم
(سورة الروم : ٢١)

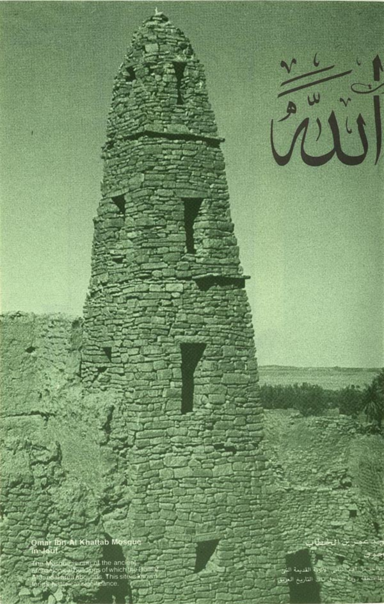

Omar Ibn Al Khattab Mosque in Jouf.

The Mosque is one of the ancient archaeological buildings of which the Domat Al Jandal area abounds. This site is known for its historical significance.

جد عمر بن الخطاب
جوف

واحد من أهم المباني الأثرية القديمة التي
بها منطقة دومة الجندل ذات التاريخ العريق